بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ؛ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه أجمعين . أمَّا بعد : نواصل القراءة في هذه الرسالة لابن البنَّا رحمه الله «**الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت**» .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

بَابُ الِاشْتِغَالِ بِمَا يُغْنِي وَتَرْكِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِي

٣٥- أَخْبَرَنَا أبوعلي الْحَسَنُ بْنُ شِهَابِ بْنِ الْحَسَنِ الْعُكْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حِمْدَانَ بْنِ بَطَّةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ دِينَارٍ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا يزيد بن عبدربه، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

****

قال ابن البنا رحمه الله : ((**بَابُ الِاشْتِغَالِ بِمَا يُغْنِي وَتَرْكِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِي**)) ؛ هذه الترجمة عقدها رحمه الله للحث على أمرٍ والتحذير من أمرٍ آخر ، فعقدها رحمه الله تعالى لبيان أهمية اشتغال الإنسان بما يغنيه ، ومعنى يغنيه: أي يكون فيه فلاحه ، انتفاعه ، سعادته في دنياه وأخراه . المراد بما يغني أي في أمر دينك ودنياك وتكون فيه سعادتك في الدنيا والآخرة ؛ فهذا الذي ينبغي أن يشتغل به العبد وتتوافر عليه أوقاته .

((**وترك الخوض فيما لا يعني**)) أي يتجنب الخوض فيما لا يعنيه ، والمراد بما لا يعنيه : أي من الأقوال والأفعال، والمراد بما لا يعنيه: أي في دينه ومصلحته ومنفعته .

أورد تحت هذه الترجمة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**)) ؛ قوله «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ» هذا يفيد أن الإسلام

يزيد وينقص ويقوى ويضعف ويتفاوت أهله فيه بحسب حالهم وحظهم من أعمال الإسلام بما في ذلك تجنب الحرام ، وهذا أيضًا يفيد أن الإسلام كما أنه يزيد بفعل الطاعات فإنه كذلك يزيد بتجنب المعاصي والخطيئات ، لأن الحديث دل على أن ترك المعصية إسلام ،كما أن فعل الطاعة إسلام ، فمن الإسلام ترك ما لا يعني ، كما أنَّ من الإسلام فعل ما يُغني كما هو واضح في الترجمة التي بوَّب لها المصنف رحمه الله تعالى .

فقوله «تركه» هذا يفيد أن الترك إسلام ، وقد تقدَّم معنا ذكر حيث أبي هريرة ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) ، وهذا يفيد فائدة مهمة جدًا في تعريف الإيمان أن مما يدخل في مسمى الإيمان ترك المحرمات كما أنه يدخل في مسمى الإيمان فعل الطاعات ، فالإيمان فعلٌ وترك ؛ فعلٌ لما أمر الله به وتركٌ لما نهى الله سبحانه وتعالى عنه ، فكما أن فعل الطاعات إيمان فإنَّ ترك المعاصي أيضًا إيمان .

وقوله «مَا لَا يَعْنِيهِ» أي ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ، قال الحافظ ابن رجب في شرحه لهذا الحديث في كتابه جامع العلوم الحكم : «وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ : أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ ، وَالْعِنَايَةُ: شِدَّةُ الِاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ» بعض الناس قد يفهم الحديث بهذا المعنى ؛ «من حسن إسلام المرءء تركه ما لا يعنيه» أي ما لا يكون له ميل فيه ولا تطلبه نفسه ، فيقول رحمه الله : «وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ» وهذا تنبيه مهم جدًا في معنى الحديث يغيب عن أذهان كثيرٍ من الناس ، قال « بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ» ، ولهذا بعض الناس على المعنى الذي نبَّه على أنه خطأ رحمه الله يخطئ في فهم الحديث ، تجد مثلًا إنسان بحكمة وأناة وأسلوب جيد ينهى عن منكر فيقول له آخر : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، ينهاه ويقول له من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه!! هذا من الخطأ في فهم الحديث لأن الحديث ليس المراد به ما يعنيه بحكم الهوى أو الطبع أو ميل النفس وإنما يعنيه بحكم الشرع والإسلام ، فمما يعني المسلم بحكم الشرع الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ، هذا مما يعني المسلم لأنه مطلوب منه بحكم الشرع ، فبعض الناس عندما يخطئ في فهم الحديث يحمله على مثل هذا الفهم الخاطئ ، قال « فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَإِذَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي كُلَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمُلَ إِسْلَامُهُ» . وانظر هذا الفقه والفهم للحديث ؛ عندما يتجنَّب الإنسان المحرم ترك ما لا يعنيه ، عندما يتجنب المكروه ترك ما لا يعنيه ، عندما يتجنب المشتبه ترك ما لا يعنيه ، ترَك ما لا يعنيه بحكم من ؟ بحكم الشرع ، وهذا هو فهم الحديث والذي به يكمل إسلام المرء .

٣٦- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُلَاعِبٍ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ طُلَيْقٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِ)).

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِ**)) ؛ وهذا المعنى دلت عليه نصوص كثيرة جدًا أنَّ أكثر الذنوب تنطلق من اللسان ، قد مر معنا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ ؛ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)) فاعوجاج اللسان يترتب عليه اعوجاج الجوارح كلها ، وفي الحديث ((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)) ؛ فاستقامة اللسان به استقامة البدن ، واعوجاج اللسان به أيضا اعوجاج البدن وجميع الجوارح ، فإذًا من كثر كلامه فيما لا يعنيه كثرت ذنوبه ، ماذا يدخل تحت قوله «أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِ» ؟ الغيبة النميمة السخرية الكذب الاستهزاء إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة المحرمة كلها لا تعني المسلم بحكم مَن ؟ الشرع ، ما معنى لا تعنيه ؟ أي لا ينبغي أن يصرف لها عنايته ، لا ينبغي أن يصرف لها اهتمامه ، بل يبتعد عنها لأنها لا تعنيه ، لا ينبغي أن تتجه لها عناية المسلم لأنها لا تعنيه بحكم الشرع ، نهاه

الله عنها ونهاه رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا لم يبالِ بذلك وأخذ يتكلم فيما لا يعنيه كثرت ذنوبه ، ومثل هذا المعنى ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» وهذا المعنى جاء في نصوص وآثار كثيرة عن السلف . وإسناد هذا الحديث فيه عصام بن طليق قال ابن معين «ليس بشي» ، وقال البخاري «مجهول منكر الحديث» ، فهو إسناد ضعيف لكن رواه الإمام أحمد في الزهد موقوفًا على سلمان ، ورواه وكيع في الزهد موقوفا على عبد الله بن مسعود ، وهو من حيث المعنى واضح ويشهد لصحة المعنى وقوته نصوص كثيرة أشرت إلى بعضها .

٣٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَطَّارُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَوْنٍ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ:قَدْ أَوْجَبْتُ، قَدْ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عَمِلْتُ كَبِيرَةً.فَأُرِيَتْ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا: يَا فُلَانَةُ، أَنْتِ الْقَائِلَةُ كَذَا وَكَذَا؟وَأَنْتِ تَنْطِقِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكِ، وَتَمْنَعِينَ مَا لَا يَضُرُّكِ.

****

ثم أورد هذا الأثر ((**عَنْ عَوْنٍ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: قَدْ أَوْجَبْتُ**)) ومعنى أوجبت -والله تعالى أعلم- أي : وجبت لي الجنة وجبت لي النجاة ، وذكرت أمرين تعلمهما من نفسها قالت : ((بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عَمِلْتُ كَبِيرَةً)) ؛ بايَعَتنه على الطاعة والعبادة والبُعد عن الشرك بالله والبعد عن الزنا والإتيان بالبهتان ونحو ذلك تقول ((**وَمَا عَمِلْتُ كَبِيرَةً**)) .

((**فَأُرِيَتْ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا : يَا فُلَانَةُ، أَنْتِ الْقَائِلَةُ كَذَا وَكَذَا؟** -أي أوجبت إلى آخره- **وَأَنْتِ تَنْطِقِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكِ، وَتَمْنَعِينَ مَا لَا يَضُرُّكِ**)) ؛ فالشاهد منه أنه قيل لها في هذه الرؤية «وَأَنْتِ تَنْطِقِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكِ» ، وهذه الرؤية إن صحَّت فيها شاهد لكلام أهل العلم أن الرؤى المنامية تكون للبشارة وتكون للنذارة لا لتقرير الأحكام ، الأحكام لا يمكن أن تؤخذ من رؤية منامية ، الأحكام إنما تؤخذ من الشرع كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، لكن يؤخذ من الرؤى المنامية البشارة والنذارة ، البشارة كأن يكون شخص مثلا غير مستقيم ويستقيم ويبدأ يصلي ويعبد الله

فيرى رؤية في المنام مفرحة ويرى فيها سعادته في الجنة أشياء من هذا القبيل فيستبشر وينشط ، وكما قال السلف «الرؤية تسر المؤمن ولا تضره» فتنشِّطه وتدعوه إلى المزيد من العبادة ولا يغتر، فتكون للبشارة وتكون للنذارة مثل هذه القصة .

فقيل لها: وأنت تنطقين بكذا وتقولين كذا هذا نذارة لها ، فإن صحت هذه الرؤية أو هذا الخبر فهذا من قبيل ما ذكره أهل العلم أن الرؤية تكون للبشارة وتكون للنذارة .

وأمر اللسان ونطق الإنسان بما لا يعنيه –ويدخل تحت ما لا يعنيه الغيبة النميمة السخرية الكذب الفجور البهت إلى غير ذلك من آثام اللسان– أمرها ليس بالهين ، أمرها خطير جدًا ، حتى لو كان الإنسان محافظ على الصلوات والصيام والصدقات فرضها ونفلها ، قد جاء في الأدب المفرد بسند صحيح عن أبي هريرة قال قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ –ذكروا عنها أعظم العبادات الصيام والصدقة والزكاة الفرض والنفل تقوم الليل وتصوم النهار وتتصدق بكذا وكذا – وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ: ((لَا خير فيها هى من أهل النار)) ، وذكروا له امرأة قالوا وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ –يعني أشياء يسيرة جدًا– وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ: ((هى من أهل الجنة)) الأولى كانت تقوم الليل وتصوم النهار صوامة قوامة ومنفقة تتصدق بكذا وكذا وقال عليه الصلاة والسلام ((هي من أهل النار)) لما ذُكر عنها أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فأمر اللسان ليس بالهيِّن .

٣٨– أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْقطَّان، أخبرنَا ابوعمرو عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ السَّمَّاكُ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الْحَسَنِ الْوَاسِطِّيُّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ نُصَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خَتَمَ الْمَلَكُ الْخَيْرَ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَنْطِقِ، وَالصَّمْتِ، وَالنَّظَرِ، فَمَا كَانَ مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَهُوَ لَغْوٌ ، وَمَا كَانَ مِنْ صَمْتٍ فِي غَيْرِ تَفَكُّرٍ فَهُوَ سَهْوٌ، وَمَا كَانَ مِنْ مَنْظَرٍ فِي غَيْرِ عِبْرَةٍ فَهُوَ لَهْوٌ»

****

ثم أورد هذا الخبر عن حَجَّاجُ بْنُ نُصَيْرٍ ، وحجاج هذا قال عنه البخاري «منكر الحديث» ، وقال عنه يحي بن معين «ليس حديثه بشيء» ، وهذه حاله ويروي هذا الخبر عن عيسى وكم بينه وبين عيسى

ابن مريم عليه السلام! فمثل هذه الأخبار المرسلة هكذا لا تُعتمد ، وذكر أهل العلم لها كما قدمت يعني مثل هذه الأشياء يذكرونها لما تشتمل عليه من معاني مثلا صحيحة ومعاني جيدة ، وتُذكر استئناسا فقط ولا يُعتمد على شيء منها.

قَالَ : ((**قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَتَمَ الْمَلَكُ الْخَيْرَ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْمَنْطِقِ، وَالصَّمْتِ، وَالنَّظَرِ**)) يعني أن الخير في هذه الثلاث عندما تَحسُن صيانتها : منطق الإنسان ، وصمته ، ونظره .

ثم بيين ذلك قال : ((**فَمَا كَانَ مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَهُوَ لَغْوٌ ، وَمَا كَانَ مِنْ صَمْتٍ فِي غَيْرٍ تَفَكُّرٍ فَهُوَ سَهْوٌ، وَمَا كَانَ مِنْ مَنْظَرٍ فِي غَيْرِ عِبْرَةٍ فَهُوَ لَهْوٌ**)) ؛ «ما كان من منطق في في ذكر فهو لغو» فيه أن اللسان إن لم يُشغل بذكر الله والخير والنافع اشتغل بالباطل ، لأن اللسان خُلق للكلام فإن لم يشغله صاحبه بالخير اشتغل باللهو واللغو والباطل ، في هذا المعنى يقول ابن القيم في كتابه الوابل الصيب : «إن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك ؛ فإن الإنسان لا يسكت البتة ، فإما لسانٌ ذاكر، وإما لسانٌ لا غ ، ولابد من أحدهما ، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وهو القلب إن لم تُسكِنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولابد ، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولابد ، فاختر لنفسك إحدى الخِطَّتين وأنزلها في إحدى المنزلتين ».

٣٩- أخبرنا أَبُو الفتح هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارُ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ:يَا بُنَيَّ اطْلُبْ مَا يَعْنِيك بترك مَالا يَعْنِيك؛ فَإِن فِي ترك مَالا يَعْنِيكَ دَرَكًا لِمَا يَعْنِيكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى مَا قَدَّمْتَ، وَلَسْتَ تَقْدَمُ عَلَى مَا أَخَّرْتَ، فَآثِرْ مَا تَلْقَاهُ غَدًا عَلَى مَالَا تَرَاهُ أَبَدًا.

****

هذا كلام عظيم جدًا فيه وصية زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ قال : ((**يَا بُنَيَّ اطْلُبْ مَا يَعْنِيك بترك مَا لا يَعْنِيك**)) ؛ إذا قال قائل كيف أتمكن من ترك ما لا يعنيني ؟ يقال : إنما تتمكن من ترك ما لا يعنيك

بشغْل وقتك فيما يعنيك ، لأنك إن لم تشغل وقتك فيما يعنيك انشغل وقتك فيما لا يعنيك ، فالطريقة السليمة الصحيحة لاشتغال المرء أو لبعد المرء عما لا يعنيه بأن يشغل نفسه فيما يعنيه .

قال : ((**فَإِن فِي ترك مَالا يَعْنِيكَ دَرَكًا لِمَا يَعْنِيكَ**)) أكبر عون لك على إدراك ما يعنيك أن تترك ما لا يعنيك ، وهذا يفيد أن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه يفوِّته تحصيل الخير مما يعنيه في دينه ودنياه وطاعته لربه سبحانه وتعالى.

((**وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى مَا قَدَّمْتَ**)) أي الذي تلقاه يوم القيامة هو الذي قدَّمته متقربا به إلى الله .

((**وَلَسْتَ تَقْدَمُ عَلَى مَا أَخَّرْتَ**)) يعني الأموال والتجارات والأملاك وغير ذلك إذا لم تقدم شيئا منها لله لن تقدُم عليك ، لأنك ستتركه في الدنيا وينتهي أمره في الدنيا ولن تقدم عليه يوم القيامة ، ((يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟)) ، الشيء الذي قدمه لله وتقرب به إلى الله وبذله في سبيل الله هو الذي يلقاه يوم القيامة ، أما بيوته وتجاراته ومزارعه وأملاكه كلها لا يقدُم عليها يوم القيامة إن لم يكن قدَّمها لله وبذلها قربةً إلى الله سبحانه وتعالى .

((**وَلَسْتَ تَقْدَمُ عَلَى مَا أَخَّرْتَ**)) والمراد «ما أخرت»: يعني ما تركته في الدنيا لم تقدمه لله سبحانه وتعالى .

((**فَآثِرْ مَا تَلْقَاهُ غَدًا عَلَى مَا لَا تَرَاهُ أَبَدًا**)) ؛ «آثِرْ مَا تَلْقَاهُ غَدًا» أي مما قدَّمت في سبيل الله «عَلَى مَا لَا تَرَاهُ أَبَدًا» أي إذا مت لن تراه أبدا لأن ليس لك من مالك إلا ما قدمت .

٤٠- وَفِي مَعْنَاهُ:

اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ*فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ**

كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ*ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ**

****

وهذا كلام عظيم جدًا في الحث على اغتنام الفراغ ، والفراغ مغبونٌ فيه كثير من الناس كما قال عليه الصلاة والسلام : ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ)) ، فكثير من الناس عنده

صحة لكنه لا يغنمها في شيء يجده يوم يلقى الله ، وعنده سعة في الوقت ولا يغنمه في شي يجده يوم يلقى الله سبحانه وتعالى ، فأكثر الناس مغبون أي خاسر لم يغنم وقته ولم يغنم صحته .

((**اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ**)) ما تدري قد يفاجئك الموت ولا تعيش ما كنت مثلا تظن أو تؤمل أنك تعيشه .

((**كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ**)) وهذا يره الناس كثيرا في حياتهم ، كثير من الناس معافى وصحيح لا يموت في حاد وإنما يموت على فراشه بعهم ، ويسأل قرابته هل كان يشتكي من شيء؟ يقول لا والله ما كان يشتكي لكن على فراشه وُجد ميتا .

فمثل هذه الأمور ينبغي للإنسان أن يتنبه لها ويغنم ما آتاه الله من صحة وما تهيأ له من وقت فيقدِّم ما يسرُّه أن يلقى الله سبحانه وتعالى به .

٤١- وَأَنْشَدَ آخَرُ:

اعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ*وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثُ**

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ*يُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا جَمَّعَتَ مَوْرُوثُ**

يقول هذا الناظم: ((**اعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ**)) ؛ اعمل : أي احرص على تقديم الأعمال وجدَّ واجتهد واحذر من الدنيا أن تفتنك وأن تشغلك عن طاعة الله سبحانه وتعالى .

((**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثُ**)) ؛ وإذا علمت أنك بعد الموت مبعوث فاعلم أن الله سائلك ، وإذا علمت أن الله سائلك فأعد للمسألة جوابا ، وليكن الجواب صوابا .

((**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ**)) أي أعمالك محصاة عليك وستلقاها يوم تقف بين يدي الله سبحانه وتعالى .

((**وَمَا جَمَّعَتَ مَوْرُوثُ**)) أي كل ما تجمعه لن ينتقل معك إلى الدار الآخرة وإنما سيرثه قرابتك كما قال الآخر:

وأموالنا لذوي الميراث نجمعها وبيوتنا لخراب الدهر نبنيها

ليس معنى ذلك أن الإنسان لا يعتني بجمع المال واكتساب الرزق وأن يذر ورثته أغنياء ؛ فالشرع جاء بالحث على ذلك ، لكن لا تكن الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه ، هذا من جهة ، من جهة أخرى أن

يؤدي حق الله سبحانه وتعالى الواجب في المال ، ومن جهة ثالثة أن لا يصرف شيء من المال الذي منَّ الله عليه به بما يسخط الله ويغضبه سبحانه وتعالى ، مع أن الغالب أن الإنسان إذا كثر ماله يصاب بشيء من الطغيان والتجاوز لحدود شرع الله سبحانه وتعالى إلا من عافاه الله سبحانه وتعالى وسلَّمه .

٤٢- وَأَنْشَدَ آخَرُ:

اعْمَلْ لِئَلَّا تَسْقَمْ*فَعُمْرُكَ الْيَوْم مغنم**

فجُدْ بِهِ لإلهٍ*وَسَيِّدٍ لَا يُطْعَمْ**

وَإِنْ رَأَيْتَ فُتُورًا*فَقُلْ لَهُ فَستَنْعَمْ**

بِقُرْبِ رَبٍّ جَلِيلٍ*وَمَنْ خَدَمَ فَسَيُخْدَمْ**

وَاعْلَمْ يَقِينًا بِفَهْمٍ*فَأَنْتَ عِنْدِي مُقَدَّمْ**

مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ فِعَالًا*فَسَوْفَ يَوْمًا يَنْدَمْ**

****

وهذا أيضا بمعنى ما سبق في الحث على العمل وأن يستغل الإنسان صحته في العمل قبل أن يسقم ولا يتمكن مع المرض من العمل تمكنه منه وهو في صحة وعافية ، وأن الواجب على الإنسان أن يغتنم عمره وصحته وشبابه كما قال عليه الصلاة والسلام : ((اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)) ؛ وهذا معنى قوله «فَعُمْرُكَ الْيَوْم مغنم» أي اغتنم عمرك وما ذهب من عمرك لا يعود فاغتنم الوقت لأن كل ما ذهب من وقتك لا يعود ، الشباب إذا ذهب لا يعود واليوم إذا انقضى لا يعود ؛ فينبغي على الإنسان أن يغنم عمره ؛ بماذا ؟

قال ((**فجُدْ بِهِ لإلهٍ**)) أي جُد بعمرك ((**لإلهٍ وَسَيِّدٍ لَا يُطْعَمْ**)) أي تقرب إلى الله وابذل أوقاتك في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

وأيضا جانب الفتور والكسل والتواني ((**وَإِنْ رَأَيْتَ فُتُورًا فَقُلْ لَهُ فَسَتَنْعَمْ**)) يعني إن تركت الفتور وجُدتَ بالطاعة وأنواع العبادة فإن عاقبة هذا البذل والجد والاجتهاد النعيم يوم لقاء الله ((**فَقُلْ لَهُ فَسَتَنْعَمْ بِقُرْبِ رَبٍّ جَلِيلٍ**)).

((**وَمَنْ خَدَمَ فَسَيُخْدَمْ**)) من خدم مراده: ببذل العبادة والطاعة واجتهد في طاعة الله سبحانه وتعالى فسيخدم أي ينعِّمه الله يوم القيامة في الجنة بأن يكون مخدومًا ؛ يخدمه الغلمان وتخدمه الحور وينعَّم مكرمًا مخدومًا في جنات النعيم .

((**وَاعْلَمْ يَقِينًا بِفَهْمٍ فَأَنْتَ عِنْدِي مُقَدَّمْ ... مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ فِعَالًا فَسَوْفَ يَوْمًا يَنْدَمْ**)) أي من ضيَّع وقته ولم يحرص على استغلاله فإنه سيندم على هذا التضييع يوم يلقى الله سبحانه وتعالى ولا ينفعه يومئذ الندم .

٤٣- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الدَّقَّاقُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بَهْتَهْ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْهَيْثَمِ،حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: «طَلَبْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيهَا».

****

وهذا كلامٌ عظيم يُنقل عن هذا الأعرابي أنه عمل على طلب الراحة لنفسه قال ((**فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيهَا**)) لم أجد شيئا أو أمرًا فيه راحة نفسي مثل ترك ما لا يعنيها .

٤٤- وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ» .

****

قال ((**كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ**)) ؛ وبنحو هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في أحد كتبه أو كأنه من ينقله عن بعض السلف : «من علامة المقت إضاعة الوقت» ، وهنا يقول الحسن ((مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ)) . وتأمل هذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) ، قال أهل العلم مفهوم المخالفة أن من لم يشتغل بالفقه في الدين فهذا من علامة عدم إرادة

الخير به ، لأن من أراد الله به خيرًا فقهه في الدين شغله فيما يعنيه من معرفة دينه الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لأجله وأوجه لتحقيقه .

٤٥- وَقَالَ غَيْرُهُ: «هَلَاكُ النَّاسِ فِي خَصْلَتَيْنِ: فُضُولِ مَالٍ، وَفُضُولِ مَقَالٍ».

****

قال ((**وَقَالَ غَيْرُهُ: هَلَاكُ النَّاسِ فِي خَصْلَتَيْنِ: فُضُولِ مَالٍ، وَفُضُولِ مَقَالٍ**)) هذا فيه أن هلاك الإنسان في الفضول . والفضول يكون في المال مثل ما جاء هنا «فضول المال» ، ويكون في المقال «فضول المقال» ، ويكون أيضا في السمع «فضول السمع» ، ويكون أيضا في البصر «فضول البصر» ؛ فهذه الأربع كلها مهلكات ؛ فضول المال ، وفضول المقال ، وفضول السمع ، وفضول البصر ، وابن القيم رحمه الله له فيها كلام موسَّع أظنه في أواخر كتابه حادي الأرواح.

٤٦- وَقَالَ شُمَيْطُ بْنُ عَجْلَانَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمَ الدَّنْيَا بِالْوَحْشَةِ لِيَكُون أنسُ المطيعين بِهِ».

****

وبهذا الأثر ختم هذه الرسالة ؛ قال : ((**وَقَالَ شُمَيْطُ بْنُ عَجْلَانَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمَ الدَّنْيَا بِالْوَحْشَةِ لِيَكُون أنسُ المطيعين بِهِ**)) ؛ الدنيا وُسمت بالوحشة لأنها دار الوحشة ، بمعنى أن الإنسان إن لم يشتغل بالأنس بذكر الله وطاعته يستوحش ، وكلما بعُد عن ذكر الله عز وجل أصابه من الوحشة في هذه الدنيا بحسب بُعده عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، فالدنيا دار الوحشة ولا يُؤنس فيها إلا بذكر الله ولا تزول الوحشة إلا بذكر الله سبحانه وتعالى ، قال ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمَ الدَّنْيَا بِالْوَحْشَةِ لِيَكُون أنسُ المطيعين بِهِ)) .

وهذا الأثر رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ : «قال أبو هاشم الزاهد : إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها ، وليقبِل المطيعون إليه بالإعراض عنها ، فأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون ، وإلى الآخرة مشتاقون» . وعلى كلٍ معنى قول شُمَيْطُ بْنُ عَجْلَانَ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمَ الدَّنْيَا بِالْوَحْشَةِ لِيَكُون أنسُ المطيعين بِهِ» أي أنه لا أنس إلا بطاعة الله وحسن الإقبال عليه سبحانه وتعالى .

وَالْحَمْد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، تمت القراءة على شيخنا عبد الرزق بن عبد المحسن البدر صباح السبت غرة شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة بمدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة بجامع الشيخ راشد بن مكتوم رحمه الله تعالى وجزى الله شيخنا خير الجزاء .

وأسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .